الدلالات اللفظية في منهجية الاستشراق في الحروب الصليبية

أ.د. أسامة إبراهيم حسيب إبراهيم (*)

أن الحديث عن " الاستشراق " شديد التنوع ويختلف في معالجة موضوعاته في كل حاله بين باحث وآخر ، خصوصاً عندما تتحدد أهداف البحث في موضوع استشراقي معين ومن زاوية تحددها منهجية بحث محدد ، أو رغبة باحث يقصد إلي مسائل ذات دلائل معينة في إيضاح هوية الاستشراق . فأصبح اليوم علماً له كيانه ومنهجه ومدارسه وفلسفته ، ودراساته ومؤلفاته ، وأغراضه وأتباعه ، ومعاهده ومؤتمراته ، فصار حقاً علي الباحث أن يعني بتحديد مفهومه والوقوف علي معالمه البارزة ، وآفاقه ومظاهره وأطواره ، وخصائصه وأهدافه قبل البحث في آثاره وميادين نشاطه . فكانت ظاهره الاستشراق واحده من أبرز الظواهر الفكرية التي عرفتها العلاقات بين الشرق والغرب .

* المفهوم اللغوي الاستشراق : -

الواضح أن كلمة " الاستشراق " مشتقة من مادة " شرق " يقال " شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت [١] ، والجدير بالذكر أن الكلمة التي تبحث عنها لم ترد في المعاجم العربية المختلفة [٢] .

المفهوم العلمي الاستشراق : -

استشراق هو : طلب علوم الشرق ولغاتهم " مولده عصرية " يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة [٣] .

والمستشرق هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه [٤] .

ودرجت عاده الاستشراق في الغالب . علي أتباع منهج يتسم بالغموض والخروج عن المألوف والحيدة في معالجات بعضها تجاه تاريخ العالم الإسلامي والدراسات والعلوم الإسلامية بمختلف آدابها وفروعها ، واختلط الصحيح بالخطأ والحابل بالنابل في استخدام تلك المصطلحات الاستشراقية ، واستشفاف الحقيقة المجردة للمصطلح التاريخي دون النظر إلي طبيعة عقيدة المستشرق ومن يكتب عنهم ، ويختلف اختلافا جذرياً معهم في الدين والفكر والعادات والتقاليد الموروثة منذ نشأت الدراسات الاستشراقية فيما بين القرنين الرابع عشر والثامن عشر الميلادي ، وبوجه خاص في تفسير وتحليل العديد من القضايا الرئيسة المتصلة بالعقيدة الإسلامية ، وإن اختلف المستشرقون أنفسهم مع بني جنسهم في التوصل إلي تفسير معقول لتلك الظاهرة ، وذلك لانتمائهم إلي تيارات ومذاهب عقلية

(*) أستاذ تاريخ أوربا في العصور الوسطي - كلية الآداب – جامعة سوهاج.

وايدلوجية متعددة ومتناقضة إلا أن المحطة المستهدفة هي النيل من العقيدة والبلاد الإسلامية [٥] .

ولم ينقطع الصراع المتواصل بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي ، فإبان الحروب الصليبية منح البابا أوربان الثاني (١٠٨٨ – ١٠٩٩م) صك غفران لجنوده لمحاربة المسلمين ، وأمن المستشرقين أن استخدام البندقية والسونكي لا يجدي في اقتلاع الإسلام ، وكان من هذه الحملات ما اتخذ صوره البحث العلمي تحت فئة الاستشراق . وإن كان الحقد الصليبي والصهيوني قد انبثق مرة أخري ، وعاد إلي حمل السلاح بعد أن جدد أنواعه الأشد خطراً والأشنع دماراً ، وفي الوقت نفسه بعد أن روض القادة السياسيين في العالم الإسلامي علي تمجيده وطاعته وحمايته ، وروض التعاليم الإسلامية والشعائر الدينية وصاغها بصيغ مستأنسة ، فسمي الجهاد في سبيل الله باسم " الكفاح الوطني " وسمي عزل الإسلام عن الحياة العامة والسياسية باسم " العلمانية " وزارة الجهاد باسم " الدفاع " والانحلال الخلفي والتخلص من قيود الشرف والعفة باسم " الحرية الشخصية وأدب الفراش أو الجنس باسم " الرومانتيكية " وشجبت الأسلوب المحافظ فسماه " الرجعية " [٦] .

ذلك الصراع نفسه كان دافعاً رئيساً أسفر عن بروز وولادة عدد غير قليل من الذين طوعوا أنفسهم أو كلفوا من جانب القيادات الزمنية والروحية الغربية للدراسات الاستشراقية ، فقام عدد منهم بزيارة الشرق الإسلامي في شكل رحلات للحج أو للدعوة لتحويل المسلمين إلي النصرانية خلال فترة حكم الفرنجة في بلاد الشام أو حكم الدولة المملوكية لتلك المناطق ، ومن خلالهم بذرت البذرة الأولي للاستشراق وأغلبهم الأعم ، كانوا من رجال الدين المسيحي في مستهل الأمر أمثال المستشرق بارثولوميو الرهاوي ، ويولوجيوس القرطبي (ت ٨٥٩ م) Eulogius of Cordve - ووليم الطرابلسي - William of Tripqlis - وريكولدوس دي سانتا كروس - Ricaldus de Santa Cruse - وتوماس اكويناس (ت١٢٧٢م) وهؤلاء أثروا الكتابات الاستشراقية بمجموعة من الأخطاء والمصطلحات البعيدة كل البعد عن المعالجة الموضوعية نحو الإسلام وتاريخه وعلومه ورجاله ودولة[٧].

و قد لخص المستشرق " وليم بلجراف " أهداف الصليبية في حروبها ومحور سياستها في كلمته الطافحة بالأجرام : " عندما يختفي القرآن ومكة من بلاد العرب يسهل علينا أن ندفع المسلم في سبيل الحضارة " يعني الحضارة الغربية المسيحية .

وهذا ما أكده " مولوتوف " الشيوعي في عبارته التي تمتلئ بالغيظ للإسلام في خطبه له : " لن تثبت الشيوعية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، ولن تنتشر في الشرق إلا أذا أبعدنا أهله عن تلك الحجارة التي يعبدونها في الحجاز (يعني الكعبة ، الحجر الأسود ، رمي الجمرات) و إلا أذا محونا القرآن من الوجود ، وإلا أذا قضينا علي الإسلام " [٨].

واتسعت دائرة الاستشراق بقيام بعض الرحالة والمغامرين الغربيين بزيارات دونوها بلغاتهم القديمة اللاتينية والفرنسية واليونانية ، وبعضها ترجم إلي اللغات

الأوربية الحديثة الانجليزية والألمانية والفرنسية والروسية ، وسردوا فيها كل ما عاينوه وشاهدوه من مواقع بالأردن وسوريا ولبنان وفلسطين بعامة ، وبالأماكن المقدسة في فلسطين بخاصة مع التعليق عليها ، فضلاً عن ذكر بعض المواقع الحربية التي اشتعل أوزارها بين الجانبين الفرنجي والإسلامي ، ومن هؤلاء داينال الراهب وبورشارد وسايولوف وفيتلوس ويوحنا فوزربورغ وغيرهم (٩) .

لقد بدأ الاستشراق في الأندلس في القرن السابع الهجري ، حين اشتدت حملة الصليبين الأسبان علي المسلمين ، فدعا الفونسو ملك قشتاله الراهب مخائيل سكوت ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضاراتهم ، فجمع سكوت طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة وشرعوا يترجمون بعض الكتب من العربية إلي لغة الفرنجة ، ثم قدمها المؤرخ " سكوت" لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها ، وبعث بها هدية إلي جامعة باريس . وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون لول بنشاط كبير في الترجمة في مختلف الفنون والعلوم من الهيئات وطب وهندسة وفلك وتاريخ وغيرها (١٠) .

ويعتبر رامون (ت ١٣١٦) من أشهر المغالين في الجانب الاستشراقي ، وأنتهج الخطابة في معالجته للمصطلحات التاريخية والعقائدية والسياسة ، وبرز دوره الحقيقي كأعظم مرشد للدعوة النصرانية المتشددة خلال العصور الوسطي ، وتفوق علي زملائه في المدرسة الاستشراقية الغربية عندما هبط علي الأراضي الإسلامية في بجاية (بالجزائر) خلال القرن الرابع عشر الميلادي بهدف التبشير بالمسيحية بين سكان المغرب العربي الإسلامي في تحد سافر وعلني للسلطات الإسلامية حتي بعد سجنه والإعفاء عنه ، مما حدا بالأهالي المسلمين لرجمه بالأحجار (١١) .

ويعود الفضل لرامون في تأسيس المدارس الإستشراقية المتخصصة في الكتابة والخطابة وأقترح الآتي :-

أولا : بناء أماكن محددة يتم تخصيص أشخاص بأعينهم لها من ذوي الخبرة والكفاءة والذكاء الرفيع . علي أن يعكفوا علي دراسة اللغات غير الأوربية بغية التبشير بالإنجيل للشعوب كافة .

ثانيا : تكوين نظام خاص بجمع الفرسان المسيحيين ويدأب هذا النظام جاهدا لفتح الأراضي في فلسطين .

ثالثا : أن يؤلف رجال العلم المسيحي كتباً تفند الأخطاء – علي حد قوله – المذكورة في المؤلفات العربية وبخاصة رأي ابن رشد حول معارضة المذهب الكاثوليكي ، وأثمرت تلك المقترحات عن إنشاء خمس كليات نظامية لتعليم العبرية والعربية والكلدانية في روما وبولونيا وباريس وأكسفورد وسلامنكا (١٢).

والحقيقة ، أن العصور الوسطي كانت تعيش في ظلام دامس وتخلف لا مثيل في شتي ميادين الحياة " إذ بينما كان الشرق من أدناه إلي أقصاه معموراً بما تشعه

بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم كان الغرب من بحره إلي محيطه غارقا في غياهب الجهل الكثيف والبربرية والجموح " [١٣] .

تقول المستشرقة الألمانية - هونكة- لو أردنا دليلا علي مدي الهوه العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٠% من سكان الغرب في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادي كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة ، بينما إمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة والقراء ة ، وفي الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم لدرجة أنه في عام ١٢٩١م لم يكن في دير القديس جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط [١٤] .

وقد أقبل المستعربون في بلاد الأندلس علي الثقافة الإسلامية بغية معرفة أسرار قوة المسلمين وأسباب ازدهارهم وحضارتهم التي ظهرت للعالم أجمع والتي كانت تسير معهم أينما حلوا ، في حين كانت أوربا في عصورها المظلمة [١٥] .

ولقد شهد القرن الثالث عشر الميلادي مولد أول مدرسة للعلوم الاستشراقية في طليطلة ١٢٥٠ م إلا أن الدعوة لإنشاء الكليات المتخصصة في الاستشراق ، وقد أرست دعائم الاستشراق بمعناه الحقيقي في العصر الحديث ، وبما يحتوي عليه من تخصصات متعددة ، وبما تطرحه من أفكار مغلوطة بتاريخ المسلمين ، وخاصة وأنها حتي القرن السادس عشر كانت متعلقة بالدوافع الدينية في المقام الأول ، ثم تداخلت فيها عوامل ودوافع جديدة متمثلة في الاستعمار الاقتصادي والسياسي ومحاولة نزف الموارد الاقتصادية الإسلامية كعامل ضاغط علي الشرق الإسلامي بعد فشل الحروب الصليبية والتحالفات المقدسة ، فضلا عن المعاناة التي عمت أوربا نفسها داخليا نتيجة الثورات والحركات الإصلاحية [١٦] .

إن الاستشراق نشأ في العصور الوسطي في كنف الكنيسة ، فقد كانت ترعاه وتوجهه ، وكان اللاهوتيين أول من أقبل علي دارسة الحضارة الإسلامية ، فدرسوها من خلال مدارس المسلمين ومجامعهم ومكتباتهم ، ثم قبعوا في ديارهم يترجمون التراث ، ويذيعونه بين الرهبان وطلاب العلم فتنتشر انتشارا سريعا بفضل مدارسهم [١٧] .

حيث أنشأت الكنسية بعض المدارس العربية في روما وغيرها ، لإعداد أجيال من المتخصصين في العلوم الإسلامية علي نحو يؤهلهم لنشر كل ما يسئ إلي الإسلام والمؤمنين به ، حتي يفتر حماس الرغبة في الرحلة إليهم وتلقي العلم عنهم . ويقول أحد الباحثين " لقد كان أولئك القساوسة الذين أوفدوا إلي ديار الإسلام ، طلبا للمعرفة المغرضة ، وهؤلاء الذين تعلموا في المدارس العربية الأوربية وفقا للتخطيط الكنسي " . ثم قامت الكنيسة بإيفاد عدد من القساوسة الذين أعدو إعداداً خاصة إلي بعض العواصم الإسلامية في الأندلس والمغرب العربي لدراسة العربية وعلومها ، رائدهم في هذا تتبع العورات ، وتلمس الشبهات ، ليتقدموا بعد عودتهم

إلي بلادهم بتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات المشحونة باختلاق المثالب ، وإثارة الحفائظ ضد المسلمين [١٨] .

ويقول المستشرق الألماني – يارت - كان موقف الغرب المسيحي في العصر الوسيط من الإسلام موقف الدفع والمشاحنة ، وكان علماء الغرب ورجال اللاهوت في هذا العصر يتصلون بالمصادر الأولي في تعريفهم علي الإسلام ، وكانوا يتصلون بها علي نطاق كبير ، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر علي نحو موضوعي نوعا ما ، كانت تصدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير ، وهكذا الناس لا يولون تصديقهم إلا تلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل [١٩] .

فضلا عن ذلك فقد تواجدت عوامل عديدة حركت المستشرق الغربي لدارسة التاريخ الإسلامي ودولته ، ولم تقف عند حدود عقائدية أو حتي متوارثة عن قيم ثابتة بل تعداها إلي تغيرات داخلية في المجتمع الأوربي، واعتلاء الطبقة المتوسطة والمعدومة لجزء من القيادات السياسية في البلاد التي يقطنوها ، بل كانت اللبنة الأولي في إعلاء شأن الخطب الاستشراقية في صور متعددة تمثلت في الدعوة إلي النصرانية والمذهب الكاثوليكي بوجه خاص ، واستخدمت ألفاظها من حيث الخطابة أو الكتابة مصطلحات جامدة تابعة للكنيسة لا تخرج عن نطاقه بأي حال من الأحوال [٢٠] .

والتاريخ في هذا الصدد لا يختلف عن نظيره في العلوم الأخرى لدي المستشرقين والمبشرين بوجه عام ، فالمتخصص منهم وغير المتخصص عندما يتعرض للتاريخ الإسلامي الحديث نجد صعوبة في التمكن من التمييز بينهم ، إلا في القليل النادر الذي أنصف التاريخ الإسلامي وحضارته ، خاصة وأن الارتباط وثيق الصلة بين تاريخ الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي ، واختلافه مع تاريخ الحضارة المادية الغربية وانفصالها عن الكنيسة في الغالب ، بل لا نبالغ إذ قلنا بتبعية الكنيسة لتلك الحضارة وبالذات خلال القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين [٢١] .

ويذكر الدكتور - محمد البيهي – أنه ليست هناك صلة بين المسيحية وبين هذه الحضارة الصناعية الغربية المادية ، إلا أن المباشر لهذه الحضارة يعتنق المسيحية ، وينتسب إلي الشعوب المسيحية ديناً ، وليست المسيحية ديناً للحضارة الإنسانية . وإنما المسيحية هى دين للسلوك الفردى فى الحياة الإنسانية . ولكن تمجيد القيم الغربية المسيحية على هذا النحو، وبهذا الربط من علماء المسيحية الدارسين للإسلام ، والمعارضين لمبادئه في الصور السابقة ، أوجد صدي في حياة المسلمين وفي نفوس بعض الكتاب والمفكرين من المسلمين ، فالحديث عن العلم وعن الطريقة العلمية والدعوة إلي مسايرة خطواته مقترنة بالتقليل من قيمة التراث الماضي ، وهو التراث الإسلامي فكثير من رجال الدين المسيحي وقف مؤيدا لتلك الحضارة ، خدمة لأهداف تخدمه

شخصيا ، وتخدم شروره تجاه تلك الحضارة الإسلامية ، ولذا ظلت فكرة العلم الحديث وتطوره في الغرب مقترنة إلي حد كبير في نظرهم بتأييد الكنيسة ورجالها [٢٢] .

فقد كان العلم الإسلامي مجالاً اقتصاديا ذا أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوربيين [٢٣] . ومن خلال المستشرقين ودراساتهم أدرك الغرب أنه إذا أراد أن يسامي الشرق ويتفوق عليه فليس له من سبيل أخر يوصله إلي انتزاع زحام الأمور من يده إلا بتعلم لغاته ، وما يتعلق بها من حضارة وعلوم ، وأدرك أنه لكي ليتسرب إلي مصادر القوة في الشرق ، ويمزقها يجب عليه أن يتسلح بالقوة الاقتصادية ، لذلك تشبث بهذا المحور وجعله هدفه الاسمي ويسخر كل شئ في سبيله فطلب التجارة الرابحة ، وهي أقوي المشجعات البشرية علي النشاط والعمل ، كان له أثره الطبيعي في ميول الأمة ومجهوداتها الفكرية ، وبينما كان التاجر يسعي في تحصيل النفع المادي من الشعوب الشرقية [٢٤] .

وليس معني ذلك تقويض الصراع الديني العقائدي للاستشراق من أساسه أو نقف عند حدود الصراع السياسي والاقتصادي فقط ، بل أن الصراع الديني الغربي تجاه المسلمين وحضارتهم زادت حدته خلال القرنيين الخامس والسادس عشر الميلاديين ، مرافقا لنشأة تلك الحضارة المادية ، ونجد ذلك في كثير من مؤلفات المستشرقين وخاصة في الفترة الأولي للاستشراق ، فقد تحمل أعبائها رجال الدين وانساقت من خلفهم الأهداف السياسية والاقتصادية ، وهو دائماً ما نجده معكوسا في دراسة الاستشراق نحو الإسلام عموما ، ولتغيير مفهوم المصطلحات لتحويلها بمعالجة غير موضوعية من صراع ديني بين الغرب والشرق الإسلامي ، إلي صراع مادي بحت ، فهذا مكسيم رودنسون – في كتابه "الإسلام والرأسمالية " عالج فيه تلك النظرية عاكساً المصطلح التاريخي بتحويله من منطق صراع عقائدي من الغرب للشرق الإسلامي إلي صراع مادي اقتصادي ، وقدم المبررات التي تؤكد أن الجهاد الإسلامي والدفاع عن الأرض والعقيدة ضد الاستعمار الغربي ، أنما تحكمه في مسيرة التاريخ العوامل الاقتصادية والاجتماعية وأن الأيديولوجية الدينية لا تلعب إلا دوراً ثانوياً [٢٥] .

وأن كانت دوافع الإيديولوجية خطيرة ونافعة في الوقت نفسه ، إذ تدفع الإنسان لذلك الصراع الفكري المتواصل الذي لا يهدئ ولا يسكن ولا انقطاع فيه ، سنه الحياة التي تدفع الإنسان للصراع حتي مع نفسه وأخيه وصديقه وعدوه وعشيرته ومجتمعه وحتي العالم بأسره [٢٦] . ويكفي دليلا أن الغرب لم يتردد في سبيل تحقيق أهدافه الأيديولوجية في استخدام جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، قانونية كانت أو غير قانونية خيرة كانت أم شريرة حتي أرسي قواعده الإيديولوجية ، التي تبرر إعماله منها " الغاية تبرر الوسيلة "و" فرق تسد "و" أقتل لتعيش "و" حارب تسيطر "و" أغتصب تملك

" ، وما أكثر من أمثال ذلك من فلسفة ماكيافيلي نيتشه وهرتزل وغيرهم ، ومن هنا لا نشك في أن الدافع وراء العناية بدراسة اللغات بجميع ألوانها دافع أيديولوجي محصن ، وقد بدأت الدراسات علي هذا النحو في العصر الوسيط لخدمة العمل التبشيري ، ثم أهملت بعد ذلك إهمالا تاما بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢ م ، وبعد أن أصبحت الأقلية الوحيدة الموجودة بها من المور الذين يتكلمون لغة من أصل لاتيني ، ثم عادت إلي الظهور مندمجة هذه المرة في الدراسات السامية ، حيث كانت الكنيسة مهتمة بوحدة الكنائس الشرقية ، ثم جاءت الحركة الإنسانية بما تنشده من ثقافة شاملة ، والمصالح السياسية والتجارية لتوسع من هذا الاهتمام فيشمل مجموعة من الدراسات الإسلامية [٢٧] .

وأصبح العامل الديني دافعا قويا لانتشار الاستشراق في العالم ، إذ أنشئت في الغرب المعاهد والمدارس لتعليم لغات الشرق وأديانه ، حتي ليرجع فضل دراسة اللغات الشرقية في الحقيقة إلي المبشرين إلي البلاد الشرقية من المرسلين من قبل الباباوات ، فهؤلاء هم الذين حملوا معهم عند رجوعهم إلي بلادهم تلك اللغات ، وقد كانت المجادلة في العلوم والأدب ضمن الأكليروس المسيحي أي الرهبان ، وهم الذين قبضوا علي ناحيتها واختصوا بها ومنعوا الجهور من تداولها [٢٨] .

ورغم تعدد دوافع الاستشراق (نفسي – تاريخي – اقتصادي – أيديولوجي – استعماري- علمي ...) إلا أن الدافع الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيون إلي الاستشراق هو الدافع الديني في المقام الأول ، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثاره مرة عميقة ... ، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون بروتستانت وكاثوليك بحاجة ملحة لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية ومحاولة تفهمها علي أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح ، ومن هنا اتجهوا إلي الدراسات العبرانية ، وهذه أدت بهم إلي الدراسات العربية الإسلامية ، وبمرور الوقت أتسع نطاقه الدراسات الشرقية حتي شملت أدياناً ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العبرية ، ومن جهة أخري رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين ، فأقبلوا علي الاستشراق ليتسن لهم إعداد الدعاة وإرسالهم إلي العالم الإسلامي [٢٩] .

في دراسة الغربيين للإسلام والثقافة الإسلامية تأكيد للروح الصليبية لتضح في كتابة المستشرقين الفرنسيين ، فمستشرقو فرنسا ومستشرقو الكثلكة علي العموم في الغرب ، ففرنسا زعيمه الحملات الصليبية الماضية لاسترداد بيت المقدس من البرابرة المسلمين ، فروح الصليبية لم تزل حية في نفوس الفرنسيين ، ولم يزالوا يصدرون عنها إحكامهم عن الإسلام والمسلمين ، وفي معاملتهم للمسلمين كذلك الخاضعين لاستعمارهم ، ولم نري في دراسة

الاستشراق حتي الآن مسيحيا بروتستانتنيا عالج التراث الإسلامي بأسلوب كاثوليكي ولا بروحه الحاقدة الجامحة [٣٠] .

فقد جنح كتاب العصور الوسطي ، وعلي رأسهم قادتهم من الرهبان والقساوسة يصورن الإسلام ورسوله في صورة مشوهة تقبح الإسلام والمسلمين – قبحهم الله- فجاء في موسوعة " لاروس " الفرنسية خلال عرض لأراء كتاب المسيحية إلي النصف الأول من القرن التاسع عشر ممن نالوا من محمد - ص- ذكر شرنيل ما يأتي :- " بقي محمد مع ذلك ساحرا ممعنا في فساد الخلق ، لص نياق ، كاردينالا ، لم ينجح في الوصول إلي كرسي البابوية فاخترع دينا جديدا لينتقم من زملائه ، واستولي القصص الخيالي والخليع علي سيرته [٣١] .

وقال المستشرق : " أميل دورمنجم " الفرنسي في كتابه حياة محمد : " لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلاف ، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السابقين إلي أشد الخلاف ، فمن البيزنطيين من أوقروا الإسلام احتقارا من غير ان يكلفوا أنفسهم – فيما خلا " جان داماسين " مئونة دراسته ، ولم يحارب الكتاب النظاميون مسلمي الأندلس إلا بسخف المثالب ، فقد زعموا أن محمد – ص - لص نياق ، وزعموه متهالكا علي اللهو ، وزعموه ساحرا ، ونعتوه كذلك رئيس عصابة " من قطاع الطرق ، وبل حسبه بعضهم ألها زائفا يقرب له عباده الضحايا البشرية " [٣٢] .

وأن " جبير دي نوجن " حاقد علي الإسلام ليفقد توازنه فيذكر أن محمد – ص - مات في نوبة سكر- بين(والعياذ بالله) ، وأن جسده (الكريم) وجد ملقي علي كوم من الروث ، وقد أكلت منه الخنازير ، وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حرم الخمر ولحم ذلك الحيوان [٣٣] .

فالعصور الوسطي لم تكن تحسب محمداً إلا هرطقيا ، وقال عنه انوسنت الثامن أنه عدو المسيح [٣٤] .

ويقول كيمون – المستشرق الفرنسي في كتابه- "باثولوجيا الإسلام" أن الديانة المحمدية جذام تفشي بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان علي الخمول والكسل ولا يوقظه منها إلا ليسفك الدماء ، ويدمن علي معاقره الخمور ويجمع في القبائح ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم إلي الإتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي [٣٥] .

وهذا النمط المتزمت التزم الكثير منهم بمنهج التنكيل بالدين الإسلامي في معالجتهم التاريخية للمقارنة بين الحضارتين الأوربية والإسلامية دون الفحص الدقيق لتاريخ الإسلام ومتابعة الرواية الصحيحة في دراستهم لتنقلب الحقائق ظهراً علي عقب ، وقد ظهرت منهم حديثا " – ايلذ ليكتنستادتر- تلميذة المستشرق جوستاف . أ . فون جرونبيام التي أظهرت دراستها للإسلام والعصر الحديث تقيما

ونقداً للعديد من المصطلحات المغايرة لواقع التاريخ الإسلامي ، عند تعرضت للعلاقات القائمة بين الجانبين في صورة الحروب الصليبية وتأثيرها علي الجانبين في التقدم والتأخر الحضاري .

واستدلت علي ان هذا التأثير أتضح في الغرب في أشكال مختلفة للفن والأدب والمعمار والفلسفة والعلوم والتجارة ، مما أكسب الغرب صورة تقدمية حضارية علي العكس في الجانب الإسلامي الذي اتخذ من القلاع الصليبية وغيرها من الآثار المعمارية طريقاً ، وهنا اتضحت الرؤيا الخاصة للمستشرقة في معالجتها للتاريخ الإسلامي حيث رأت أن الغرب تطلع إلي الشرق علي اعتبار أنه " مختلف ، رجعي ، غير مبدع " عاجز عن أن يحذو حذو الغرب في العصر الحديث [٣٦] .

وذلك راجع في رأي المستشرقة إلي أساس الاختلاف من الجانبين (الفكر العلمي ، الفكر الديني) فالعلم ليس له حدود ثابتة معروفة ، ولا يكتفي أبدا بما توصل إليه من إجابات وتطورات جديدة ، وسيستمر في البحث علي مزيد من الحلول الجوهرية للمشاكل التي لا تنتهي . إلا أن المستشرقة من باب دس السم في العسل أشارت إلي عبقرية الحضارة الإسلامية المبدعة باعتبارها رائدة للقرون الوسطي في أوربا في مجالات العلوم والفلسفة والفنون ، وهي من نتاج الدين الإسلامي وفي تناقص غريب رأت أن ما حل من تخلف بالعالم الإسلامي كان نتيجة ظهور الدولة العثمانية التي اتخذت من الدين أساسا للدفاع عن العالم الإسلامي ضد الهجمات الاستعمارية التي انطلقت من غرب أوربا . والدرب الاستشراقي الذي انتهجته المستشرقة لمعالجة موضوعها وتقرير نتيجة مسبقة ومعروفة إبان القرن العشرين ، وسبقها إليه مارتن لوثر من خلال خطبه العديدة وكتاباته إلي أنصاره ، حيث نعت القران الكريم بأوصاف ذميمة ، وتعرض لرسول الله - ص- بأقبح الصفات من أجل أنصاره من القساوسة ومؤيدي مذهبه البروتستانتي في الحرب ضد الإسلام . بقوله : " علي القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد حتي يزداد المسيحيون عداوة له ، وأيضا ليقوي إيمانهم بالمسيحية ولتضاعف جسارتهم في الحرب ضد المسلمين ويضحوا بأموالهم وأنفسهم " [٣٧] .

لذلك بدأت المواجهة بين المسيحية والإسلام إذ حس أتباع المسيح أنهم أمام خطر يجب عليهم مواجهته ، وقد بدأت هذه المواجهة أثر انطلاقة الإسلام من الجزيرة واستمرت حتي اليوم ، وكان المسلمون لفترة طويلة يمثلون خطراً بالنسبة للغرب المسيحي ، قبل أن يصبحوا مشكلة بالنسبة له ، فحاول إزالة ذلك الخطر قبل ما أتيح له من قوة ومعالجة هذه المشكلة بكل ما كان لديه من وسائل إذ أصبحت شغله الشاغل . بدأ بحثها يوحنا الدمشقي برسالته المشهورة ، ويعترف بذلك القس بيده في كتابه "التاريخ الكنسي" قبل سنة ٧٣٥م قائلاً : " يبدو أن قليلا من البحث قد جري بشأن هذا الشعب الذي كان يمثل كارثة بالنسبة للشعوب المسيحية" [٣٨] .

وفي سنة ٧٩٣م بحث كتاب "الأخبار التاريخية الكارولنجية" المشكلة نفسها قائلاً : " بينما كان الإمبراطور مشغولا بهذه المشكلة حلت تجربتان قاسيتان من

أرضين مختلفين ، وهما الثورة السكسونية وتدخل العرب في سبتمانيا" ويعترف – رودنسون- أن البحث في أمر العرب وعلومهم وحضارتهم كان يتقدم شيئا ما في الأندلس ، حيث كان مسيحو إسبانيا الإسلامية وحدهم يسيرون إلي أبعد مدي في الدراسة لأسباب واضحة ، فقد كانوا يخضعون للسيطرة السياسية للمسلمين التي كانت تفسح لهم مجالا واسعا لدراسة الثقافة العربية التي يرونها هادمه للإيمان المسيحي ، فقد كان من الضروري لهؤلاء المسيحيين أن يكون لديهم صورة أكثر دقة من أن لم تكن أكثر صحة عن قاهريهم وعن أفكارهم ... ، وكما حدث : أيضا عند المسيحيين الذين خضعوا للمسلمين في الشرق ... فقد حاول المثقفون منهم أن يتعمقوا بقدر أكبر في تحليل الأيديولوجية الإسلامية ، وذلك بهدف إمكان محاربة تأثيرها المحتمل ، ولكن الحماسة النضالية لألوج الآفار ولأنصارهما في الفترة القصيرة ما بين سنة ٨٥٠-٨٥٩ م ومجوداتهم غير المجدية لإقناع السلطة والجماهير المسيحية ، وتعطشهم إلي الاستشهاد كان أثره أن أصبحوا غير قادرين علي ذلك المجهود الذهني العميق لمعرفة العدو وفهمه [٣٩] .

وعلي الرغم من انتشار الإسلام السريع بين الأوساط المسيحية عندئذ وإسلام عدد كبير من النورمانديين والسلافيين والمجريين وغيرهم ، وما قدمه المسلمون للشعوب المسيحية من خير حينئذ وما سيقدم إليها بعد ذلك ، فقد بقي الإسلام في نظر المسيحيين عدو رئيسا حيث سيطرت عليهم الإيديولوجية البابوية التي دعت بأعلى صوتها إلي الحرب المقدسة التي استمرت عدة قرون ، حيث لبت الحكومات المسيحية هذه الدعوة وذهبت تشترك فيها بحماسة عظيمة مما أدي إلي أن يظل اتجاه الغرب المسيحي في العصر الوسيط من الإسلام موقف صراع وبغضاء ومشاحنة [٤٠] .

حقيقة أن العلماء ورجال الدين في العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولي تعرفهم علي الإسلام ، وكانوا يتصلون بها علي نطاق كبير ، ولكن كل محاولة لتقيم هذه المصادر علي نحو موضعي نوعا ما كان تصدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير ، وهكذا كانت الناس لا يصدقون إلا تلك المعلومات التي تتفق مع الرأي الراسخ في أذهانهم ، وكانوا يتلقفون كل الأخبار التي تلوح فيها الإساءة إلي النبي العربي وإلي دين الإسلام [٤١] .

ومن هنا بذلت الجهود الجبارة لإثارة الشبهات والأباطيل حول الإسلام ، فأندفع حول الإسلام عدد ضخم من علماء الغرب إلي البحث والتنقيب جريا وراء براهين زائفة للتشكيك في الإسلام وتشويه شريعته وتوهين عقيدته ، ولقد تولى المؤلفون اللاتينيون فيما بين سنة١٠٠٠وعام١١٤٠م إرضاء هذه النزعة عند الجماهير العريضة ، وهكذا ركزوا جهودهم علي حياة محمد (صلي الله عليه وسلم) دون أن يلتزموا الصدق والحق ... وكانوا يستندون في الترويج لأباطيلهم وترهاتهم علي أساطير مستمدة من الفولكلور العام من الأدب القديم ، ومن النصوص

البيزنطية عن الإسلام ومن الروايات الإسلامية التي حرفها مسيحيون الشرق بطريقة شائنة [٤٢] .

ومن خلال الحروب الصليبية أتصل الغرب عن قرب بالشرق ، وبدأت الرؤية الإيديولوجية وضوحا لدى علماء المسيحية ، وبدأوا ينظرون إلي العالم الإسلامي كمهد للفلاسفة غير أن أنهم لم يستطيعوا أن يتحرروا من العقيدة المعادية للإسلام حتى رأينا توما الأكوينى نفسه ، وهو الفيلسوف المسيحي الأكبر يؤلف رسالته المشهورة " بحث ضد الوثنين " ويحمل فيها على العرب والإسلام وفلسفة بن رشد بالذات ، وبعد أن ألقت القوى الصليبية سلاحها واعترفت بهزيمتها ، وانتهت مرحلة من مراحل النضال الصليبي الحربي بطرد آخر جنود الصليبين من عكا فى سنة١٢٩١م [٤٣] .

وعند انتهاء الحرب الصليبية أحس الغرب أنه فى حاجة ماسة للمقارنة بين دينه ودين عدوه الذي هزمه هزيمة منكرة ، وبدأ يخطط للتبشير بالمسيحية من جديد مما استلزم ازدياد دراسة عربية لتكون عونا وسندا لأهدافه وأطماعه ، وتزعم روجر بيكون (١٢٤١- ١٢٩٤م) وبعده ريموند الأول (١٢٣٥- ١٣١٦م) دعوة استبدال الجهد العسكري ضد الإسلام بجهد تبشير يقوم علي البحث في العقيدة الإسلامية ، وتعلم اللغات الشرقية وخاصة العربية ، لقد كان روجر بيكون ، وبعض رفاقه يأخذون في الاعتبار الإسهام البناء الذي قدمه الإسلام إلي الفكر الإنساني [٤٤] .

وفي فترة الحروب الصليبية نجد أن الكتب التي أصدرها كتاب المسيحية حتي القرن الخامس عشر قد عجز أصحابها عن تجنب الأحقاد والكراهية نحو الإسلام ، كما عجزت الدول المسيحية عن وقف فتوحاته وانتشار حضارته في البلاد الأوربية نفسها ، وفوق ذلك فإن تلك المؤلفات تعد بعيدة كل البعد عن الدراسات العميقة ، بل إنها تملأ صفحاتها بافتراءات وخرافات وإساءات تتجاوب مع روح العهد الصليبي وتعصب العصور الوسطي ، ولا تحمل في طياتها شيء من الود للعرب والإسلام[٤٥] .

وتكتلت القوي الغربية كلها بزعامة البابوية لسحق الإسلام وهزيمته ، وإحلال المسيحية محله في العالمين معا علي حد سواء ، وحينما تكونت في الغرب الجبهة الإيديولوجية الموحدة ضد الإسلام ، بدأت عناصر التبشير تغذيها بأساطير كاذبة ، وقصص جارحة عن العالم الإسلامي الذي أصبح في نظرها العدو الأساسي ، ولم تكن الحروب الصليبية كما قبل هي العامل الأهم في تكوين صورة الإسلام ، وأثر الوحدة الإيديولوجية للعالم المسيحي اللاتيني التي تبلورت ببطء ، وأدت إلي توحيد جهود العدو وتوجيه الطاقات نحو الحروب الصليبية ، وقد أصبح الاشتراك في الحملة إلي الأراضي المقدسة واجبا مقدسا للمؤمنين ، وذلك بفضل الدعاية التي قام بها الحجاج إلي الأراضي المقدسة ، الذين كانوا عددهم يتزايد باستمرار ، كما كان تنظيم الرحلات إلي الأراضي المقدسة في تحسن دائم خلال القرن الحادي عشر ،

حيث مسيحيو أوربا ينخرطون في العمل المسلح ضد البدو ويغيرون عليهم ، وبيت المقدس هو قبلتهم التي يقدسونها ، وكان قبر المسيح في نظرهم ذا قيمة كل من بيت المقدس كقبلة يتجه إليها الإنسان ، مدنسا بوجود غير المؤمنين إلي جواره (٤٦) .

ورغم الحرب علي الإسلام والمسلمين إلا أن الحروب الصليبية لعبت دورا حمل بعض الغربيين علي إعادة النظر في أمور دينية لا تمت إلي المسيحية بصلة مثل "صكوك الغفران " والادعاء بأنه لا اتصال بين الإنسان وربه إلا بواسطة الكنيسة وحدها ، وقد عرفت هذه الحركة باسم " الإصلاح الديني " تبناها " يوحنا كالفن " ثم تبناها " لوثر " واستدعت هذه الحركة مراجعة أصول الدين المسيحي ، فترجم العهد الجديد إلي اللاتينية ، وعندما قامت حركة لوثر ١٤٨٣ – ١٥٤٦ م بالثورة علي الفاتيكان بدأ دعوته بالدعوة إلي دراسة التوراة في لغتها الأولي وهي العبرية ، ولما كانت العلاقة بين العبرية وبين العربية وثيقة وكانت العبرية حينئذ لغة تائهة المعالم وغير مضبوطة فإن الاعتماد علي اللغة العربية في التعريف علي الكلمات العبرية كان أمر ضرورياً (٤٧) .

لذلك كانت الحروب الصليبية سببا في تحول كبير في العقلية الغربية التي شرعت في دراسته الحياة الإسلامية ، حيث تأكد لها أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير ، فهم أمة انطلقت إلي آفاق واسعة تتسم بأهداف الإنسان الحر وآماله الكبيرة ، غير أن العقلية الأوربية التي ظلت ضيقة الأفق لم تستطيع حينئذ أن تحرر نفسها من كل قيودها ، وبدلاً من أن تنطلق هي الأخرى لتحلق بأفق رحبة انطوت علي نفسها ، وكبلت حريتها وظلت تعادي الإسلام بشدة وعنف ، لأن هزيمتها في الحروب الصليبية جعلتها تحمل في طياتها مرارة شديدة وعداوة ضارية (٤٨) .

ولكن مهما يكن من أمر هذه الحروب الصليبية وعلاقاتها بالعقلية الأوربية الضيقة حينئذ ، فإنه مما لا شك فيه أنها قد تسببت في انتشار الاستشراق علي نطاق واسع جداً ، إذا أدي قيام الحروب الصليبية إلي ازدياد روح التعصب الديني ، وانعكست هذه الروح علي الاستشراق فقد بدأ الجاحدون للإسلام من الأوربيين يتعلمون اللغة العربية ، لا حبا فيها ولكن ليتخذوها وسيلة إلي فهم القرآن وسلاحا في مناقشته ، وقد أدركوا حينئذ أن المناقشة عن علم أجدي وأقوي من المنافسة بغير سلاح ولا عدة (٤٩) .

ويحب أن نعترف أن التعصب الأوربي كان قويا ، ومع ذلك لم يكن هو الدافع الوحيد لتعلم العربية بل كان يكمن في النفوس دافع أقوي وأعمق ، إذ أدرك الغرب خلال حروبه الصليبية مع الشرق أنه يتفوق عليه فكريا وحضارياً واقتصادياً ، فإذا أراد أن يتقدم ويتحرر فلابد أن يسير في الطريق التي سارت فيه شعوب الشرق قبله ، ولذلك شرع في بناء المدارس والمعاهد والمراكز في تعلم الحضارة العربية التي كانت من أقوي البواعث لنهضة المسلمين العلمية والفكرية ، ومن هنا بدأ اهتمام أوربا باللغة العربية يزداد وينتشر . حتي اهتم فردريك الثاني ملك صقلية في نهاية

القرن الثاني عشر الميلادي ، وقام الفونسو ملك قشتاله في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي [٥٠] . بنقل العلوم العربية وترجمة كتبها ، واقتدي ملوك أوربا وأمراؤها بهما وسرعان ما رأي الأوربيون بعد أن لجئوا إلي السيف أولا قلم ينالوا مما يبتغون أن يعمدوا إلي وسيلة أخري أمر من السيف وأدهي ، فقد عقدوا مؤتمراً كبيراً في فيينا ١٣١١ م ترأسه البابا كليمنت الخامس ، وقرروا أن تؤسس في باريس وبولون وأكسفورد مقررات لتدريس العربية والعبرية والكلدانية [٥١] .

وهكذا قرر الغرب الأوربي مواجهة الإسلام علي نطاق أوسع من ذي قبل فتمسك بتعليم العربية في مدارسه وكاتدرائياته وأديرته وجامعاته ، وحدث بعد فترة من الزمن أن خرجت تلك المدارس والجامعات عدداً ضخما من علماء العربية ، وكان هذا تقدما جيدا في الاستشراق حيث أخذ أساتذته يقومون بترجمة الكتب العربية إلي اللاتينية واللغات الأوربية الأخرى ، ويتعرفون علي أئمتهم ومفكريهم إذا كان طلاب الغرب يتعلمون قبل ذلك العهد في مدارس العرب وصقلية وطليلة والقدس وغيرها من مراكز العلم العربية ، وظهر نوعا جديدا من الاستشراق ، وهو طليعة العلم الاستشراقي الحديث ، وأصبح في الطالب الإنجليزي يدرس اللغة العربية ، طلبا للثقافة العربية لذاتها وقام الإنجليز للمرة الاولي بدراسة اللغة العربية درسا جيدا ، وكانت أعمالهم كأعمال المستشرقين الحديثين ذات فائدة للعرب والإفرنج علي حد سواء [٥٢] .

وكان الأمر نفسه مع بلاد أوربا كلها وطلابها فسرعان ما بدأت بنهضتها التي أنتجت لها كل ما لديها الآن من رقي حضاري وعلم وثقافة . إذ تحركت بسرعة وأخذت تخطو بخطوات جبارة نحو التقدم والازدهار وتحررت من القيود البالية ، فبنت عالما جديدا أخذ يشق أعالي البحار بأساطيله ويجتاح البلاد بجيوشه ويسيطر علي المعارف بعلمائه ، وهنا يبدأ طور جديد في الاستشراق الذي أتاح للحضارة العربية من فرص الانتشار ما لم يتح لها من ذي قبل ، وذلك لأن فردريك الثاني شرع في تنفيذ برامج أسلافه التعليمية بدقة غير مكترث برجال الدين ومعارضاتهم ، وضاربا أوامر الكنيسة عرض الحائط ، وكان لهذا الحاكم من القوة والسلطات والنفوذ مما جعله يمضي في هذه السبيل ويحقق للنهضة الأوربية نتائج بالغة الأهمية ، لقد كان فرديك الثاني نفسه حلماً بالعربية ودارساً لثقافتها إلي حد كبير علي أيدي أساتذة من العرب ، وربما خفيت هذه الحقيقة علي كثير من الناس ، فقد فتح أمام العرب أبواب ملكه الواسع ، ودعا إليه أكبر عدد من المستنيرين منهم لكلي يصلحوا برامج التعليم ويصوغوها وفقا للنظام المتبع في المدارس العربية ثم ليشرفوا بأنفسهم علي تنفيذ هذه البرامج من الناحية العلمية والإدارية [٥٣] . ويتضح مما سبق أن أول من دفع الغرب إلي الاهتمام بحضارة الغرب واقتناء كتبهم وإدراك أهميتها هم الرهبان علي الرغم من معارضة كنيستهم ، والواقع أن الكتب الشرقية المدونة في مختلف الموضوعات قد ترجمها إلي اللاتينية الرهبان فقط دون غيرهم ، ويدلنا علي اهتمام الرهبان عنايتهم بالوقوف علي ما دون في بطونها ، أنهم كانوا

يتحملون مشقة الترجمة أولاً ثم يكتبونها بأيديهم بصبر وجلد – ولم تكن الطباعة قد دخلت - ولم يكن الراهب من أولئك الرهبان ليكتفي بإجادة الخط أثناء النسخ فحسب ، بل أنه كثيرا ما أضاف الزخرفة والألوان في كتاب أشتغل فيه طول حياته وآثار هؤلاء الرهبان الأدبية تظهر لنا قيمة المجهودات التي بذلوها في سبيل العلم (٥٤) .

أراد الرهبان أن يتعرفوا علي اللغة العربية ولغات البلاد الشرقية الوثنية والإسلامية ، رغبة في نشر المسيحية بهده البلاد بعد أن أنكمش سوقها في أوربا ، وبعد ان قامت الثورات الدينية والاجتماعية في وجه رجال الدين المسيحي ، وقلب قادة المسيحية أوجه النظر فرأوا ألا نجاة للمسيحية إلا بمحاولة إيجاد حقول جديدة لها ، وأرتئي أن الشرق الفقير الجاهل سيكون الفريسة السهلة للغزو المسيحي . وقال المؤرخ – جوانفيل- الذي رافق الملك لويس التاسع في حملته علي الشرق : " أن لويس في خلوته هو أول من فكر في سلاح التنصير ، وفي جمع كلمة أوربا علي هذا المنهج ، والعمل علي استخدام من يمكن من إغراؤهم من نصارى الشرق ، وإنشاء قاعدة في الغرب للعمل الصليبي علي الأراضي الممتدة علي ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل فلسطين والأردن ولبنان وجزءاً من سوريا والبلاد المقدسة" (٥٥) .

ولا يفوتنا هنا أن نشير مع الإشادة والتقدير إلي أولئك الرواد الأوائل الذين حاملو لواء هذا العلم الواسع ، وواجهوا مسئوليات شاقة وصعوبات بالغة من تحقيق أمانيهم علي الرغم من ذلك اختاروا هذا الطريق واجتازوه بإرادتهم القوية ، وعزيمتهم الصلبة مع أن معظمهم من الرهبان والكنسيين (٥٦) .

أهم المستشرقون الكنسيين في العصور الوسطي:-

١- جرير دي أورالياك (٩٣٨ – ١٠٠٣م) : -

حاول أن يتعرف علي العالم الإسلامي وينقل معرفته إلي بلاده فهو أعظم شخصية في هذا العصر المبكر لالتقاء الفكريين العربي الإسلامي مع المسيحي اللاتيني ، فهو المواطن الفقير من مواطني أكويتانيا الذي لا حسب له ولا نسب في عصر لم يعرف غير الاحساب والأنساب ، قد أستطاع بما أوتي من فضائل نفسيه ومواهب عقليه أن يشق طريقه ليصبح ناظراً لمدرسة رمز الأسقفية ، ثم أستاذاً وناصحا للأباطرة ، ثم أسقفا لرفنا ، ثم تربع أخيراً علي عرش البابوية في روما تحت اسم سلفستر الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) فكان أول بابا فرنسي (٥٧) .

٢- قسطنطين الأفريقي (ت ١٠٨٧ م) :-

ولد هذا المستشرق في قرطاجنة ورحل إلي خراسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند ، وترهب في دير مونتي كاسينو ، وترجم كثيرا من كتب الطب والفلك من العربية إلي اللاتينية ، كما ترجم كتاب العلاج العام لإسحاق الإسرائيلي ، وكتاب التقاسيم وزاد الحاضرين لتلميذه أحمد بن الجزار، وقد جمعت أثاره وعددها أربعة وعشرون مصنفا ، ونشرت في ليون ١٥١٥م وبال بسويسرا ١٥٢٩ (٥٨) .

٣ – أدلا أوف باث (١٠٧٠-١١٣٥م) :-

وهو أول إنجليزي تعلم العربية وعني بها عناية كبيرة ، وتعلم العربية والعلوم الأخرى في الأندلس وصقلية ولبنان وأنطاكية واليونان ، وتثقف ثقافة الغرب إلي أقصي حد ممكن حتي لقد فضل مذهبهم العملي والبحثي علي المناهج الأخرى جميعها ، وله آثار عديدة خاصة في الفلك ، وكان معلماً لهنري الثاني وقد قام برحلات واسعة في إسبانيا والشام وترجم عدداً من النصوص العربية إلي اللاتينية [٥٩] .

٤- بطرس الموقر (١٠٩٤-١١٥٦م) :-

فرنسي من الرهبان البندكتية عينته لسعه اطلاعه رئيساً علي ديرها في كلوني ١١٢٣م الذي شيدته فرنسا ٩١٠م ، وانطلقت منه مراكز إصلاح عمت المسيحية الأوربية ، وقصد الأندلس (١١٢٣-١١٤١م) ولما رجع إلي ديره أخذ يصنف الكتب في الطعن في الإسلام . وقرر بطرس ان يقوم بخدمة المسيحية، فترجم القرآن الكريم لأول مرة ١١٤٣م إلي اللاتينية فلجأ إلي مدرسة المترجمين من العربية إلي اللاتينية في طليطلة ، وعلي أساس هذه الترجمة ألف بطرس خلاصة عن تعاليم الإسلام سمها "هرطقات الإسلام" [٦٠] .

٥- جيراردي كريمون (١١١٤- ١١٨٧م) :-

تضلع في العربية ونقل منها إلي اللاتينية فلسفة الكندي والفارابي وابن سينا ، كما نقل للرازي بعض من مؤلفاته ، ونقل عن العربية كذلك كتاب الأحجار لأرسطو وجالينوس وكتاب إقليدس في علم الفلك ، وترجم كتاب علم النجوم لجابر بن أفلح وكتاب الأدوية ليحي بن سرابي ، ويقال : "أنه ترجم سبعين كتاباً في جميع فنون العمل وضروب الآداب ، كانت قد فقدت أصولها العربية ولم يسلم إلا ترجمتها اللاتينية ، وهو إيطالي من الرهبان البندكتية وقد توفي بطليطلة ، حيث كان يعمل مترجماً بمدرسة طليطلة من العربية إلي اللاتينية " [٦١] .

٦- مخائيل سكت (١١٧٥-١٢٣٥م) :-

هو اسكتلندي المولد بندكتي الرهبنة ، وقد حاذ لقب الرياضي من جامعة باريس ، ثم أنتقل إلي بالرمو وطليطلة مهدي الثقافة العربية ، ومن دراساته "خلاصة الفلسفة لأبن سينا " انتهي من وضعه ١٢١٠ م ، وكان سكت معاصراً لأبن رشد المتوفي ١١٩٨م ، وقد ترجم شروح ابن رشد التي كتبها تعقيباً ونقداً لأرسطو عن السماء والأرض والنفس ، كما نشر "الأسرار الطبيعية" وكتاب المسألة الدقيقة عن الطبيعة الشمسية والقمرية في علم الكيمياء" وكتاب " الحيوان " لأرسطو وهي مؤلفات استقاها من كتب العرب [٦٢] .

٧- ألبرت الكبير (١١٩٣-١٢٨٠م) : -

هو أول ألماني تعلم العربية وعني بدراستها وأشبع نهمه بدراسة الفكر الإنساني ، وعني بدراسة الفكر المسيحي دراسة لم يسبق إليها . وتعرف علي فلسفة أرسطو عن طريق اللغة العربية ، وتفوق علي معاصريه ويعد بحق من أكابر

الأساتذة المسيحيين في الفلسفة واللاهوت ، وعنه أخذ توما الاكويني حتي قيل "لولا ألبرت لما وجد توما". (٦٣) ومما لاريب فيه أنه أول من نشر أراء أرسطوطليس ومذهبة بين قومه ، ولما تخرج من مدرسة باريس وتفوق علي أقرانه ، وذاع صيته في الفلسفة وعلوم الدين ، أستدعي إلي ألمانيا ورشح لمنصب أسقف.... ، وقد أدهش معاصريه بسعة مداركه وسمو أرائه ومعلوماته..... ، وجمع كل مخطوطات أرسطو والمباحث الموضوعة في التفاسير البيزنطية واليهودية والعربية ، وكان يقتبس من كتب الفارابي وابن سينا والغزالي . علي أن الآباء المرسلين المبشرين لم تظهر آثار مجهوداتهم إلا في القرن السادس عشر في الوقت الذي أخذت سيرة ألبرت تتجلي فيه بأكبر مظاهرها (٦٤) .

٨- توما الاكويني (١٢٢٥ – ١٢٧٤م) : -

الفيلسوف المسيحي الأكبر الذي أهتم بالدراسات الفلسفية ، وخاصة الفلسفة العربية إذ قضي جل حياته باحثاً فيها وناظراً إليها ودارساً علاقتها بالفلسفة اليونانية ، فأدي بنشاطه هذا دوراً كبيراً في نشرها ونشر الفلسفة الرشدية ، وخاصة سيطرتها علي الأوساط الكنسية في عصره على الرغم من محاربته إياها ، ولما تفشت الرشدية في باريس ، وكانت مشبوهة في نظر الكنيسة دافع عن أراء أرسطو لا حباً فيه بل تعصباً علي ابن رشد ، وصد في الوقت نفسه هجمات الرهبان الذين لا يأخذون بالعقل ، وقد أنتصر علي الرشدية انتصاراً أدي إلي تحريمها ١٢٧٠ م (٦٥) ، حيث صدر مرسوم تحريم القضايا الرشدية الذي صدر عن أسقف باريس ، وقد تضمن هذا المرسوم ثلاث عشر قضية ... وهي ليست مستقلة الواحدة عن الآخري بل مرتبطة بعضها ببعض بحيث يمكن ردها ، أو رد ما كان منها فلسفياً إلي أصول أربعة قدم العالم ، علم الله الجزئيات ، وعنايته بها ، وحدة العقل ، وحرمه الإنسان (٦٦) .

٩ - روبرت أوف تشتستر (في القرن الثاني عشر الميلادي) :-

وهو من أهالي كينون في " روثلاند " عاش في إسبانيا حقبة طويلة وتعلم فيها العربية ، وقد لقي بطرس المحترم ١١٤١م فحرضه بطرس علي ترك علم النجوم والاضطلاع بترجمة القرآن إلي اللاتينية ، فتم ذلك في عام ١١٤٣م ، ثم ترجم كتاب الخوارزمي في علم الجبر ١١٤٤م ، وكانت ترجمته فاتحة علم الجبر في أوربا ، كما ترجم كتاباً في الكيمياء الغربية ، ثم ألف عدة رسائل ونقح كتاب الخوارزمي١١٥٠م لينطبق على خط الزوال في لندن ، وهو بهذا يحاول تغريب العلوم وقوانينها الشرقية ، أدخل الرهبانية البندكتية ، وعين أسقفاً علي بامبلونة ، ثم اختير مستشاراً لصقلية (٦٧) .

١٠- رايموندلول (١٢٣٥-١٣١٤م) : -

ولد هذا المستشرق في جزيرة ميورقة ، وقضي في تعلم العربية وحفظ القرآن الكريم علي يد عبد أسود تسع سنوات (١٢٦٦-١٢٧٥م) ثم قصد باريس وأنضم إلي الرهبانية الفرنسيسكانية ، وأمر بإنشاء مدرسة ميرامار لتدريس العربية ،

وأشرف بنفسه عليها ، وقد مهد بها إلي إنشاء معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، وقد طاف كثيراً ببلاد المغرب العربي ، وعرف هناك بالنصراني المتصوف ، وكان يطوف بين المسلمين واعظاً منصراً حتي سجن وطرد من هناك . وكان من بين طلباته التي قدمها إلي الكنيسة في روما إنشاء مدارس تنصيريه ، وإرسال حملة صليبية عسكرية إلي غرناطة في شمال أفريقيا وفلسطين للقضاء علي الإسلام [٦٨] .

ولقد لعبت الحروب الصليبية دوراً في حمل بعض المستشرقين الغربيين علي إعادة النظر في أمور دينية ، وخاصة فيما ورثوه من تعاليم المسيحية وانحرافات الفكر والعقيدة وآخري في أسلوب العمل ، أو في الشكل الواجب المسيحي الراغب في ملكوت الله ، وأشهر القائمين علي هذه المذاهب .

١- البندكتيون :-

وهم يتبعون أقدم حركة نهضت لإصلاح المسيحية ، وتصحيح العقيدة والتقويم الروحي . ومؤسس هذه الفرقة هو القديس بندكت ، ومقرها جبل كاسينو ١٥٢٩م ، فكانوا أول من عني بالعربية تعليماً وترجمة وتصنيفاً ، ثم تناولوا اللغات الشرقية جميعها ونشروا الأبحاث عنها في مجلة خاصة بهم [٦٩].

٢- الفرنسيسكان (الأخوة الصغار) :-

وقد أسسها القديس فرنسيس الأسيزي ١٢٠٩م ، وأجل ما يهتمون به الأراضي المقدسة ، وهو نشطون في عملية الاستشراق ، حيث انشأوا أول مطبعة عربية لهم في طنجه ، وشيدوا الكلية الأكليريكية في الجيزة بالقاهرة عام ١٩٣٦م منتهزين فرصة التسامح والدعاية الموجهة لخلق جو صداقة بين المصريين والإنجليز ، وهم الصورة المجسمة للمسيحية [٧٠] .

٣- الكبوشيون :-

وقد أنشعب عن الفرنسيسكان رهبنه الآباء الكبوشيين ، أسسها ماثيودا باشيو وقد زاولت هذه الرهبنة نشاطها في الشرق منذ القرن السابع عشر الميلادي ، وشيدوا فيه الأديرة والمدارس والمؤسسات الخيرية في صيدا والقاهرة وحلب وبيروت وغيرهم [٧١] .

٤- الدومنيكان (الأخوة الوعاظ) :-

وقد أسسها القديس دومنيك ١٢١٦ م لدحض البدع عن طريق العلم ، ويبدو إن انتفاضة المسيحية عسكرياً بطرد المسلمين من الأندلس ، وروحياً بتطهير المسيحية من الخرافات والبدع ، وعلمياً بترجمة آثار الحرب العلمية ووضعها موضع الإفادة ، كان شيئاً واحداً ذا اتجاهات يمكن أن تسمي استصلاح المسيحية حيناً ، والنهضة الأوربية حيناً آخر ، والحروب الصليبية آونة أخرى [٧٢] .

٥- الآباء الكرمليون :-

تأسست رهبانيتهم في القرن الثاني عشر بفلسطين ، وانتقلت إلي أوربا ، ولكن غادر رهبانهم إلي الشرق في القرن السابع عشر مع الحملات الاستعمارية ، ولم تصاحب الجيوش لا هي ولا أي نشاط رهبني لتكون بعيد عن الظن [٧٣] .

وبصدد الحديث عن الإخراج المسرف في التأنق الذي أغرمنا به اقتداء بالمستشرقين أحب أن أشير إلي الثقة الكبيرة التي أوليناها للمستشرقين حتي اتخذنا منهم أساتذة لنا هي ثقة لم تقم علي أساس سليم لاعتبارات كثيرة ، منها أن الاستشراق قام أول ما قام وفي معظم ما قام علي غير أساس علمي خالص ، بل أرتبط بأمور هي أشبه بالسياسة منها بأي شيء آخر ، ونتيجة لذلك أعوزه عنصر أصيل من العناصر التي يتطلبها البحث العملي ، وهو النزاهة والتخلي عن الأغراض [٧٤] .

حتي في مجال دراسة التاريخ نجد المستشرقون وعلي رأسهم – دنلوب – قد وضعوا منهجاً غريباً ، عني من خلاله بالتاريخ الغربي وإهمال التاريخ الإسلامي ودراسته باقتضاب ، ولكنه أسهب في دراسة تاريخ الثورات الأوربية ، حتي أن تاريخ المسلمين يدرس تحت عنوان "تاريخ العصور الوسطي" [٧٥] .

وقد أشار أحد الباحثين أن المنهج في المدارس الذي يدرسه المسلم كالتالي :-

تاريخ وحضارة أوربا٣٧٠صفحة تاريخ وحضارة الإسلام٢٥٠صفحة
الثورة الفرنسية ٣٥ صفحة الدعوة الإسلامية ٢٣ صفحة
تاريخ نابليون بونابرت١٦صفحة تاريخ عمر بن عبد العزيز صفحة واحدة

وإذا ذهبت تبحث عن مضمون ما ورد عن الحضارة الإسلامية ، وجدت أن كل ما كتب عنها تضليل وخداع وتشويه ، فهو منصب علي القول بأن المسلمين لم يبتكروا حضارة جديدة ، بل اعتمدوا علي اليونان في فكرهم وحضارتهم [٧٦] .

وإن كان في ذلك مغالطة واحدة فالشعوب تعتمد علي بعضها البعض في الجانب المادي من الحضارة ، والمسلمون اعتمدوا علي اليونان في التراث الحضاري للشعوب الآخري ، إنما فعلوا ما فعله غيرهم في الماضي قبل الإسلام ، وما فعله الأوربيون أنفسهم في العصر الحديث فالحضارة اليونانية القديمة العديد من جوانبها المادية من بلاد الشرق القديم وبخاصة مصر وبلاد النهريين والهند ، والحضارة الغربية الحديثة اعتمدت هي الآخري علي علوم المسلمين فقاموا بترجمتها إلي اللاتينية ، وبنوا نهضتهم الحديثة علي أساس من المنجزات العلمية للمسلمين ، جعلت منها الحضارة العالمية في العصر الوسيط [٧٧] .

لذلك أنكب المستشرقين علي ترجمة كتب التاريخ والتراجم ، وكان رواد الاستشراق من الرهبان ، وغرضهم في ذلك علمي يستهدف إنهاض الغرب ، كما يستهدف إنقاذ المسيحية وتطوير العمل لها في نفس الوقت ، ومع هذا أفصح المستشرق يوهان ميوك عن الهدف ، فقال أن الاستشراق لم يكن عملاً علمياً محضاً ، بل إن المراد منه هو الرد علي الإسلام ، والتبشير بالمسيحية بين المسلمين ، ذلك بتراجم عربية للإنجيل . وكان هذا المنزوع الأوربي بعد أن تحول حكام المسلمين إلي مجرد ملوك ، إذ وضعوا مصاحفهم ورسالة الإصلاح جانباً ، وأحلوا رؤوسهم تيجان الملك الوراثي الذي لا يعرف له رسالة خارج دائرة القصر والحشم . لذلك

نقل المستشرقون من مؤلفات الشرق الإسلامي كثيراً من الكتب ذات الشأن سواء في الدين الإسلامي أو المسيحي أو التاريخ [٧٨] .

نماذج من المؤلفات التي نشرها المستشرقون في التاريخ الوسيط :-

١- تاريخ بيت المقدس والخليل : لمجير الدين – ترجم بعض فصوله " سوفير" .
٢- تاريخ سيطرة العرب علي إسبانيا : للنويري نشره "جاسبار ريميرو " .
٣- واسطة السلوك في سياسة الملوك : للسلطان موسي بن حمو الثاني نشره وترجمه للأسبانية "جاسبار ريميرو" .
٤- غانا : ترجمة للفرنسية "جوبير " .
٥- بيروت : لصالح بن يحي نشره "جان سوفاجه" .
٦- خيول بريد الممالك : لصالح بن يحي نشره "جان سوفاجه" .
٧- الدرة المختارة : لأبن الشحنة ، نشره "جان سوفاجه " .
٨- البدء والتاريخ (٦ أجزاء) : لابن المطهر القدسي نشره "هيار" .
٩- طبقات الأمم : لصاعد الأندلسي ، ترجمة "رجيس لويس بلاشر"
١٠- أخبار الملوك : للملك المنصور صاحب حماه نشره "مارسيه".
١١- أسبانيا المسلمة : لابن الخطيب ، نشره " لفيي بروفنسال" .
١٢- مذكرات عبد الله أخر ملوك غرناطة الزريدين ، نشره " لفيي بروفنسال " .
١٣- البيان : لأبن عذارى عن تاريخ أسبانيا المسلمة في القرن الحادي عشر الميلادي ، نشره " لفي بروفنسال " .
١٤- مختصر الدول : لابن العبري مع ترجمة لاتينية له ، نشره " بوكوك " الإنجليزي ١٦٦٣ م .
١٥- المجموع المبارك في التاريخ : لابن العميد مع ترجمة لاتينية له .
١٦- صلة الصلة : تقويم للسير الأندلسية في القرن الثالث عشر الميلادي نشره " لفي بروفنسال " .
١٧- وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين نشره " لفيي بروفنسال"
١٨- بلوغ المرام في تاريخ دولة بهرام – ترجمة للفرنسية " كتيرمير".
١٩- تاريخ بني الريان ملوك تلمسان – نقله " الأب بارجيس "
٢٠- تاريخ القبيسي نقله " الأب بارجيس" .
٢١- تاريخ بني حلاب سلاطين طوغرت : للحاج محمد الإدريسي نقله " الأب بارجيس" .
٢٢- مروج الذهب : للمسعودي – ترجمة " دي كورثاي" .
٢٣- تاريخ دولة الأتابكية : لأبن الأثير الجذري ، نشره البارون " دي سلان " و " دي جين " .
٢٤- العمي المشهورون في الشرق : للصفدي ، نشره "مرسييه "

٢٥- تاريخ مصر : في عهد الفاطميين من تاريخ إبن الميسر ـ نشره " ماسه " ١٩١٩م .
٢٦- نظام ديوان المهردار : لإبن الصيرفي نشره " فنيان " .
٢٧- تاريخ الموحدين لعبد الواحد المراكشي نشره " فنيان " .
٢٨- الحفصيين : للذركشي ، نشره " فينان " .
٢٩- رسائل ملك غرناطة : أبي الحسن علي إلى (دون دياجو القسطلي) نشره " هيار " .
٣٠- الخطط للمقريزي ـ ترجمه " كذابوفا " .
٣١- عيون التواريخ : لمحمد بن شاكر ، نشره " سوفير " الفرنسي .
٣٢- متن المقري في تاريخ وأدب الأندلس العربي ، نشره " ديجا " الفرنسي .
٣٣- الوافي بالوافيات : للصفدي ، نشره " ديفرمري" وسانفيناتي
٣٤- بغية الطلب في تاريخ حلب ، نشره " مرسييه " .
٣٥- نبذه عن كأس سحرية أهديت لصلاح الدين ، والألقاب الملكية ، وسماحة صلاح الدين ، نشره " مرسييه" .
٣٦- البيان المغرب في تاريخ إسبانيا وأفريقيا ، وترجمة " فنيان "
٣٧- كامل التواريخ لابن الأثير ، نشره " فنيان" .
٣٨- البلدان لليعقوبي ، نشره جاستون " فييث" .
٣٩- زبدة كشف الممالك : للظاهري ، نشره " رافيس " .
٤٠- كشف المسالك والممالك : لعبد الله القرطبي ننشره البارون " دي سلان " ١٨٧٩م .
٤١- رحلة بن جبير ، نشره البارون " دى سلان" ١٨٧٩م .
٤٢- رحلة بن بطوطة ، نشره " بفرمي " وسانفنياتي .
٤٣- الخطط للمقريزي ، نشره " جاستون فييث " .
٤٤- وصف مصر : لعمر بن محمد الكندي ، " نشره أويسترب "
وغير ذلك من مؤلفات العصور الوسطي ..... .

الخاتمة ، وبعد تلاشي الوجود الصليبي بالاستيلاء علي أنطاكية ١٢٨٦م وطرابلس ١٢٨٩م ، وسقوط عكا ثم القدس في ١٨ مايو ١٢٩١، وكانت النهاية في أغسطس ١٢٩١م هجر الراوية قلعة الحج أعظم القلاع الصليبية ، وكان ذلك هو فصل الختام بالنسبة للحج الأوربي الكبير ونهاية للمملكة الصليبية .

وعقب نهاية الوجود الصليبي في الشرق الإسلامي ترددت دعوات كثيرة من جانب البابوية بهدف الاستيلاء علي الأراضي المقدسة في فلسطين وضمها إلي حظيرة الغرب المسيحي ، وصدرت المراسيم البابوية العديدة بهذا الشأن والتي تحض علي استمرار الحملات الصليبية علي العالم الإسلامي ، فاتخذت في مظهرها أكثر من اتجاه فمن جانب شكلت الغارات والقرصنة الصليبية من فرسان

الأستباريه بمعاضده البابوية وألفونسو الخامس ملك أرغونه تجاه السواحل الإسلامية مصدر قلق وإزعاج للدول الإسلامية ، مما دفع السلطات الإسلامية في مصر والشام إلي احتواء معاقلهم في البحر المتوسط ، وسد المنافذ والثغور علي السواحل الإسلامية ، بحيث صارت منطقة آمنة من الخطر الصليبي ، وفي جانب ثان أتخذ الصراع شكلاً جديداً (حلفاً صليبياً) بعد الاتفاق الصليبي بين ملوك الإفرنج والبابا بهدف تطويق العالم الإسلامي من الشمال والجنوب ، ولكنها باءت بالفشل الزريع ، وفي تطور ثالث استعلمت الروح الصليبية في جنوب غرب أوربا ضد مسلمي الأندلس ولاسيما من مملكة أرغونة وقشتاله ، التي وجهت جهودها للقضاء علي آخر الممالك الإسلامية في غرناطة .

وانتقلت الروح الصليبية إلي جنوب غرب أوربا ، وأصبحت البرتغال وإسبانيا نصيرة المسيحية وراعيتها ضد الإسلام ، وانتعشت الروح الصليبية مرة أخري مكتسبة قوة جديدة علي قوتها بشبه الجزيرة الأيبيرية أبان القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وأصبح الحكم الأيبيري بحكم الضرورة الملحة محارباً صليبياً ضد الممالك الإسلامية الموجودة في الأندلس ، ولكنه نظير أخلاصه لدينه وتفانيه في حب وطنه ، كان يري أن القتال ضد الإسلام ضرورة صارمة وواجب ديني .

وشاركت البابوية في تأيدها ونصرتها لتلك الحملات علي العالم الإسلامي تعدي ذلك وضع الخطط التي من شأنها القضاء علي الإسلام في المناطق المحتلة قضاء مبرما ، ففي سنة ١٤٥٤م تلقي ملك البرتغال تفويضاً من البابا نيكولاس الخامس يعطيه الحق في امتلاك كافة المناطق المحتلة من بلاد الإسلام حتي بلاد الهند . ويقول : " وقد رأينا بعد التأمل العميق وبعد أن وضعنا في حسباننا أننا برسائلنا قد منحنا إلي الملك ألفونسو الحق الكامل المطلق في غزو وفتح وقهر جميع الأقطار الواقعة تحت حكم أعداء المسيح مسلمين كانوا أو وثنين ، فإننا نريد برسالتنا الرسولية هذه أن يقوم نفس الملك ألفونسو أو جميع حلفائه بالاستيلاء علي الأرض الإسلامية .

وفي ١٤٥٦م أصدر البابا كاليكستوس الثالث مرسوماً بابويا ثانياً ، يؤكد فيه المنحة التي وهبها نيقولاس الخامس إلي ملك البرتغال ، والشيء البارز في المرسوم البابوي هو الدعوة إلي توجيه الضربات المتتالية إلي جذور الإسلام ومهاجمته من الخلف .

ووعد الباباوات في المقابل العفو عند الحساب في اليوم الأخر والفوز بالجنة ، كما صدرت الأوامر البابوية بأن يرفع علي السفن علماً يرسم عليه صليب كبير ، فضلاً عن مرافقة الدعاة (المنصرين) المتعصبين لنشر النصرانية في كافة البلاد الإسلامية ، وهو ما عبر عنه ملك البرتغال عمانويل في خطبته أثر نزوح أول رحلة بحرية إلي الشرق قال في بعضها " أن الغرض من الرحلة إلي الشرق هو نشر المسيحية والحصول علي ثروات الشرق " .

وكان هدف الغرب الصليبي الاستيلاء علي عصب الحياة الاقتصادية الإسلامية ممثلة في التجارة و انتزاعها من الدول الإسلامية أو علي أقل تقدير تحطيم المورد الاقتصادي الإسلامي بالغارات والمقاطعة التي أصدرتها البابوية ، وهكذا أقترن العامل الاقتصادي بالديني لإقرار حقيقة دلالة اللفظ الاستشراقي في الحروب الصليبية ، وهي لا تخرج عن الاستيلاء علي الموارد الاقتصادية ، والدعوة إلي التنصير بين المسلمين لضرب الإسلام . وتقليص دور المسلمين الحضاري ، وطمس علومهم ومعارفهم ، والنيل من عقيدتهم وأراضيهم ومواردهم ، فما زالت الحروب الصليبية مستمرة حتي اليوم في كافة المجالات ، وللمستشرقين دور بارز في هذه الحروب الصليبية .

ولعل ابرز سلبيات الاستشراق :-

أولا: نقل مشكلات اللاهوت الكنسي الغربي إلي الإسلام ذلك بالتشكيك في إلهيه الوحي القرآني ، ومصداقية السنة النبوية ، وتصوير الإسلام باعتباره " هرا طقه" شرقيه ، وصوره عربيه من اليهودية والمسيحية .

ثانيا: نقل الثنائيات المتناقضة التي تميزت بها الحضارة الغربية الي الفكر الإسلامي ..... التناقضات بين الدين والدولة .....والعلم والدين .....والدنيا والآخرة ..... والفرد والمجتمع .... ،

ثالثا: تضخيم حجم الفرق والمذاهب الهامشية والشاذة والمغالية مثل الباطنية والغنوصية التي ظهرت في الحياة الفكرية الإسلامية ، وذلك لإظهار المسلمين ، وكأنهم أمة من الشراذم والأقليات الشاذة وذلك علي حساب الوحدة التي مثله أهل السنة والجماعة الذين مثلوا ٩٠% من من المسلمين علي مر تاريخ الإسلام .

رابعا: أشاعه العلمانية الغربية في الأوساط الفكرية السياسية الإسلامية لنذع القداسة عن المقدسات الإسلامية وإزاحة المرجعية الدينية عن الحياة تمهيدا لإلحاق الشرق الإسلامي بالغرب العلماني ثقافيا وسياسيا بإزالة التميز الديني والفكر الذي يعصم الشرق من الإلحاق والذوبان .

خامسا: تربيه أجيال من الحداثيين العرب والمسلمين والشرقيين ، الذين يبشرون – نيابة عن المستشرقين - بالحداثة الغربية ، التي تقيم معرفية كبري مع الموروث الديني علي وجه الخصوص ، والتي تستبدل "الدين الطبيعي" القائم علي العقل والعلم "بالدين الإلهي" وذلك حتي يتماهى الشرق والغرب الذي دفعته الحداثة ألي هذا المصير والترويج للنزعة "التاريخية" التي تنزع عن ثوابت الدين وعقائده وقيمه وأحكامه صفة الاستمرار والخلود فتحيله ألي التقاعد والاستيداع مع تغير الواقع ومرور التاريخ .

حواشي البحث:

١- المعجم الوسيط ، جـ ، صـ٤٨٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٦٠ .
٢- ابن منظور : لسان العرب / م١٠ ، صـ١٧٣ ـ ١٧٩ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ ؛ مجد الدين الفيروزبادي : القاموس المحيط ، جـ٣ ، صـ٢٤٨- ٢٤٩ ، المطبعة المصرية ، القاهرة، ١٩٢٣ .
٣- أحمد رضا: معجم متن اللغة جـ٣، صـ٣١١، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٨ .
4- Grand، Larousse Encyclopedia، vol.11، 1973 ، P.1003- 1004 .
٥- محمد بن عبود: منهجية الاستشراق دراسة في التاريخ الإسلامي الحديث (بحث نشرته المنظمة العربية للتربية والعلوم)، جـ١، الرياض ٩٨٥، ص ٢٤٨.
٦- عبد المتعال محمد الجبري : الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مكتبه وهبه ، ط١ ، ١٩٩٥، صـ١٩٦- ١٩٧ .
٧- جوستاف . إ . فون جرونبيام . حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، صـ٦٩ ـ ٧٥.
٨- عبد المتعال محمد الجبري : الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، صـ ١٩٦ ـ ١٩٧
٩- سعيد عبد الله البشاوي :ـ رحلة دانيال الروسي ، ط١ ، عمان ١٩٩٢ ، ورحلة سايولوف ط١، دار الشروق ، ١٩٩٧ ، رحلة يوحنا فوزربورغ ط١ ، عمان ، دار الشروق ، ١٩٩٧.
١٠- علي محمد جريشة : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، دار الاعتصام ، ط٣، ١٩٧٩ م ، ص١٩ .
١١-جوستاف إ . ف . جرونبياوم : المرجع السابق ، ص ٨٥ .
١٢-المرجع السابق ، ص ٧٤.
١٣- أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، نهضة مصر ، ط٢٥ ، القاهرة ، ص٥١٢.
١٤- زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع علي الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، منشورات دار الأفاق ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص٣٩٣.
١٥- العقيقي : المستشرقون ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ، جـ١ ، ص٨١ .
١٦- عبد المعطي بيومي : عرف الاستشراق ودلالته اللفظة ، دار الشروق ، ٢٠٠٠م ، ص ٣ - ٤ .
١٧- العقيقي : المستشرقون ، جـ١ ، ص٨٩ .
١٨- محمد الدسوقي : الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه ، ط١ ، دار الوفاء ، ١٩٩٥ ، ص٢٦.
١٩- رودي يارت : الدراسات العربية الإسلامية ، الجامعة الألمانية ، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ ، ص ٩-١٠.
٢٠- مصطفي محمد رمضان : مدخل إلي تاريخ أوربا الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٩- ٦١.
٢١- محمد بن عبود : مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، ص ٣٦١ – ٣٦٢.
٢٢- محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي – دار الفكر العربي – بيروت ص ٥٣٣ – ٥٣٥ .
٢٣- مكسيم رودنسون : صورة العالم الإسلامي في أوربا ، الطليعة ١٩٧٠، ص ٥٨ .
٢٤-آرثر آربري : المستشرقون البريطانيون ، ترجمة محمد الدسوقي ، مطبعة وليام كولينز ، لندن ١٩٤٦ ص ١٤ .
٢٥- رودلف بيترز : الاسلام والاستعمار عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث ، دار شهدي للنشر والترجمة بالتعاون مع المعهد الهولندي للآثار المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٤.

٢٦-اكوب باريون : ما هي الأيديولوجية ، ترجمة أسعد رزق ، بيروت ، الدار العالمية للنشر ، ١٩٧١ ص ٩٣- ١٠٤ .
٢٧- م . رود نسون : المرجع السابق ، ص ٦٧ .
٢٨- احمد سمايلو فتش : فلسفة الاستشراق ، دار المعارف ، ١٩٧٤، ص ٤٧.
٢٩- احمد سمايلو فتش : فلسفة الاستشراق ، ص ٤٩-٥٠ .
٣٠- محمد البهي : المرجع السابق ص ٥٤-٥٥ .
٣١- عبد المتعال محمد الجبري : المرجع السابق ، ص٢١٩-٢٢٠ .
٣٢- المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .
٣٣- هذه صورة تتم عن الجهل المطبق لأن تحريم الخمر ولحم الخنزير كان في عهد النبي(ﷺ)، وهو الذي أخبرنا بذلك التحريم ، ولم يحرمها المسلمون من بعده قوله تعالي (حرمت عليكم الميتة و الدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله .....) .
٣٤- محمد عبد المتعال الجبري : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .
٣٥- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الأمام محمد عبده ، مطبعة المنار، ١٣٤٤ هـ ، ص ٩
٣٦- ايلذ ليكتنستادتر : الإسلام في العصر الحديث ، ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١، ص ١٨-١٩ .
٣٧- نفس المرجع السابق ، ص ١٩- ٢١ .
٣٨-رودنسون : المرجع السابق ، ص ٥٠-٥١ .
٣٩-رودنسون : المرجع السابق ، ص ٥١-٥٢ .
٤٠-احمد سمايلوفتش : المرجع السابق ، ص ٨٨ .
٤١-وردي يارت : المرجع السابق ، ص ٩-١٠.
٤٢-رودنسون : المرجع السابق ، ص ٨٩ .
٤٣- جمال الدين الشيال : اثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٩٨.
٤٤- رودنسون : المرجع السابق ، ص ٦٢ .
٤٥- احمد سمايلوفتش : المرجع السابق ، ص ٩٠.
٤٦- رودنسون : المرجع السابق ، ص ٥٢ .
٤٧- عبد المتعال محمد الجبري : المرجع السابق ، ص ٨٢ .
٤٨- احمد سمايلو فتش : المرجع السابق ، ص ٧٤ .
٤٩- علي حسني الخربوطلي : المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص٤١.
٥٠- إبراهيم عبد المجيد اللبان: المستشرقون والإسلام ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٠ ، ص ١١.
٥١- محمد روحي فيصل : الرسالة ، ١٩ أغسطس ، ١٩٣٥ ، ص ٢١ .
٥٢- برنارد لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ط ٢ بدون تاريخ ، ص ٨-٩ .
٥٣- أحمد سمايلوفتش : المرجع السابق ، صـ٧٦ .
٥٤- يوسف جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا ، مطبعة الشباب ، القاهرة، ١٩٢٩ ، صـ ٦-٧ .
٥٥- عبد المتعال محمد الجبري : المرجع السابق، ص ٨٠ .
٥٦- نجيب العقيقي : المستشرقون ، جـ١ ، ص ١٢٠-١٣٧.

٥٧- جلال مظهر : الحضارة الإسلامية وتأثيرها في الحضارة ة الأوربية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٢٤.
٥٨- العقيقي : المستشرقون ، ج١ ، ص ١١٠.
٥٩- احمد سمايلو فتش : المرجع السابق ، ص ٦١ .
٦٠- العقيقي : المستشرقون ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ؛ احمد غراب : رؤية إسلامية الاستشراق ، ص ٥٥ ، عبد الرحمن حبنكه المكر ثلاثة ، دار القلم ، دمشق ، بدون تاريخ ، صـ ١٢٠ .
٦١- محمد عبد المتعال الجبري : المرجع السابق ، ص ٥٥ .
٦٢- محمد عبد المتعال الجبري : المرجع السابق ، ص ٥٥ .
٦٣- احمد سمايلو فتش : المرجع السابق ، ص ٦٣ .
٦٤- يوسف جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا ، ص ٦-٧ .
٦٥- احمد سمايلو فتش : المرجع السابق ، ص ٦٣ .
٦٦- ميخائيل ضومط : توما الاكويني دراسة ومختارات ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٥، ص ٤٣-٤٤ .
٦٧- عبد المتعال محمد الجيري : المرجع السابق ، ص ٥٦ .
٦٨- العقيقي : المستشرقون ، ج٣ ، ص ٢٤٩ .
Robert Brentano: The Early Middle Ages 1994، pp. 81-95 ; Cantor، the Medieval world ، 1968، pp. 99-111 .
٦٩- رودي يارت : المرجع السابق ص٩ ؛ احمد غراب المرجع السابق ، ص ٥٨ .
٧٠- نورمان كانتور : التاريخ الوسيط ، ترجمة قاسم عبد قاسم ، ج٢ ، ١٩٩٧ ، عين للنشر ، ص ٥٧٢-٥٧٣ .
٧١- عبد المتعال محمد الجبري : المرجع السابق ، ص ٨٤ .
٧٢- نورمان كانتور : المرجع السابق ، ص ٥٧٣-٥٧٤ .
٧٣- عبد المتعال محمد الجيري : المرجع السابق ، ص ٨٥ .
٧٤- عبد المتعال محمد الجيري : المرجع السابق ، ص ٢٠٩
٧٥- سعد الدين صالح : اخدوا الأساليب الحديثة ، مكتبة الصحابة ، القاهرة ، ص ٢٠٠.
٧٦- انور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإنسانية ، مكتبة التراث الإسلامي ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٤ .
٧٧- محمد قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، دار الوطن ، ١٤١٢هـ ، ص ١٣٨ .
٧٨- عبد المتعال محمد الجبري : المرجع السابق ، ص ١٦-١٧ .

المصادر والمراجع:-

١- ابن منظور : لسان العرب/م١٠ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ .
٢- إبراهيم عبد المجيد اللبان : المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٠.
٣- احمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ، دار المعارف ، ١٩٧٤ .
٤- أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، نهضة مصر ، ط٢٥ ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٥- أحمد رضا : معجم متن اللغة جـ٣ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٨.
٦- أنور الجندي : سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإنسانية ،مكتبة التراث الإسلامي ، ١٩٦٨.
٧- آرثر آربري : المستشرقون البريطانيون ، ترجمة محمد الدسوقي ، مطبعة وليام كولينز ، لندن ١٩٤٦.
٨- ايلذ ليكتنستادتر : الإسلام في العصر الحديث ، ترجمة عبد الحميد سليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١.
٩- برنارد لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية بأوربا ، مطبعة الشباب ، القاهرة ، ١٩٢٩ م .
١٠- جمال الدين الشيال : اثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ .
١١- جوستاف . إ . فون جرونبيام . حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون تاريخ .
١٢- جلال مظهر : الحضارة الإسلامية وتأثيرها في الحضارة الأوربية ، القاهرة ١٩٦٩ .
١٣- رودلف بيترز : الاسلام والاستعمار عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث ، دار شهدي للنشر والترجمة بالتعاون مع المعهد الهولندي للآثار المصرية ، القاهرة ١٩٨٥.
١٤- رودي يارت : الدراسات العربية الإسلامية ، الجامعة الألمانية ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .
١٥- زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع علي الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، منشورات دار الأفاق ، ط٢ ، ١٩٨٦.
١٦- سعد الدين صالح : احذروا الأساليب الحديثة ، مكتبة الصحابة ، القاهرة .
١٧- سعيد عبد الله البشاوي : ورحلة دانيال الروسي ، ط١ ، عمان ١٩٩٢ ، ورحلة سايولوف ط١ ، دار الشروق ، ١٩٩٧ ، رحلة يوحنا فوزربورغ ط١ ، عمان ، دار الشروق ، ١٩٩٧ .
١٨- عبد المتعال محمد الجبري : الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مكتبه وهبه ، ط١ ، ١٩٩٥.
١٩- عبد المعطي البيومي : عرف الاستشراق ودلالته اللفظة ، دار الشروق ، ٢٠٠٠م.
٢٠- عبد الرحمن حبنكه ، أجنحة المكر ثلاثة ، دار القلم ، دمشق ، بدون تاريخ .

٢١- علي حسني الخربوطلي : المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ،١٩٧٠ .

٢٢- علي محمد جريشه : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، دار الاعتصام ، ط٣ ، ١٩٧٩ .

٢٣- المعجم الوسيط ، جـ١ ، صـ٤٨٢، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٦٠ .

٢٤- مجد الدين الفيروزبادي : القاموس المحيط ، جـ٣ ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٣ .

٢٥- محمد بن عبود : منهجية الاستشراق دراسة في التاريخ الإسلامي الحديث (بحث نشرته المنظمة العربية للتربية والعلوم) ج١ ، الرياض ، ١٩٨٥ .

٢٦- محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الأمام محمد عبده ، مطبعة المنار ، ١٣٤٤ هـ .

٢٧- محمد روحي فيصل : الرسالة ، ١٩ أغسطس ، ١٩٣٥ .

٢٨- محمد قطب : كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، دار الوطن ، ١٤١٢هـ .

٢٩- محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي – دار الفكر العربي – بيروت ١٩٨١ .

٣٠- محمد الدسوقي : الفكر الاستشراقي تاريخه وتقويمه ، ط١ ، دار الوفاء ، ١٩٩٥ .

٣١- مكسيم رودنسون : صورة العالم الإسلامي في أوربا ، الطليعة ، ١٩٧٠ .

٣٢- مصطفي محمد رمضان : مدخل إلي تاريخ أوربا الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٣- نجيب العقيقي : المستشرقون ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .

٣٤- نورمان كانتور : التاريخ الوسيط ، ترجمة قاسم عبد قاسم ، ج٢ ، ، عين للنشر ، ١٩٩٧.

٣٥- ياكوب باريون : ماهي الأيديولوجية ، ترجمة أسعد رزق ، بيروت ، الدار العالمية للنشر ، ١٩٧١ .

٣٦- يوسف جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوربا مطبعة الشباب، القاهرة ، ١٩٢٩ .

37- Cantor، The Medieval World، London، 1968 .

38- Robert Brentano: the Early Middle Ages. 1994 .

39- Grand، Larousse Encyclopedia، vol.11، 1973، P.1003 – 1004 .